

مُقَلَّمَةٌ

يحلو الحديث عن جنة الخلد بعد عناء من الجهد
ومؤثرات الحياة الدنيا التي تحيط بالإنسان بخيرها
وشرها وكر ليلها ونهارها وتقلب إصباحها
وإمسائها وحرها وقرها ونسيمها وريحها وسلمها
وحرها وعدلها وجورها، ففي ذكر الجنة راحة
للنفس وأنس وطمأنينة لها وبهجة وحلاوة تحس بها
روح المؤمن من صميم أعماقه فتلقي عن كاهله
معاناة العيش في دنيا الكدح والصخب والمغالبة وما
يصادفه من مشكلاتها التي تؤله أو تكدر له صفو
الحياة، ففي كل يوم - بعد الصحو من سبات
الليل - ترقب لآت مجهول، ففوائل الشر تأتي
خطفاً بلا إنذار، ودنوها لا يُدرى بأية ساعة تحل من
ليل أو نهار، نصب يتجدد مع كل ساعة تمر وكأنه
يقول: يا إنسان أين المفر ﴿... إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا



فَمَلَقِيهِ ﴿٦﴾ (الانشقاق: ٦) وقد قال عليه الصلاة والسلام ﴿من بات آمناً في سربه وعندَه قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذاقِها﴾ فحلاوة الدنيا لحظات وهي سريعة الزوال، تفر الغافل فيركن لها، وقد شبهت في الأثر " بإنسان كان في بئر فتعلق بالحبال ليخرج منها فمر على وعاء من عسل فتوقف عنده وبدأ يأكل منه فشغل بلذيد حلاوته عما هو فيه من محنة، وفي أعلى البئر فأر أبيض وآخر أسود يقرضان الحبل فإن هو ظل لاهياً بالعسل انقطع به الحبل وسقط في البئر وفقد النجاة وإن تنبه إلى حاله ترك العسل وثابر في الخروج نجا من التهلكة" فالعسل شهوات الدنيا، وصعوده يعني عمله في الخير، والفأران هما الليل والنهار وهما دائبان في المضي والجريان وبحركتهما يمر الزمن وينقضي عمر الإنسان، فالدنيا ماضية بخيرها وشرها فلا

تنتظر أحداً ولا تتوقف لأجله، دأبها الحركة ﴿ لَا
الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ
فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ ليس: ٤٠ فهي غير وجلة ولا

هيابة لما يصيب الإنسان من فرح أو ترح، وعمق
جراحها أشد أماً من تذوق حلاوة أفراحها واغتياب
سعادتها، لأنها أعمق أثراً في النفس وأبعد غوراً في
الفؤاد، ولا يداوي هذه الجراح إلا رسوخ الإيمان في
القلب كأقوى ما يكون، وهو الذي يلهم الصبر

﴿ ... وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴾ ﴿١٧﴾

القمان: ١٧ مع موعود الله الصادق للمؤمن بأخرة
مرجوة الفلاح وفوز أبدي بسكنى الجنان، وحية
هانئة ونعيم لا ينفذ حيث لا صخب ولا نصب، ففيها

ينسى الإنسان ما ألم به من لأواء ﴿ وَجَزَّئُهُم بِمَا صَبَرُوا

جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ﴿١٢﴾ [الإنسان: ١٢] ففي الحديث النبوي

﴿يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا بن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة ثم يقال له: يا بن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط﴾ فعوارض الدنيا لا محل لها في الآخرة، ففي الجنة الصحة والسعادة والشباب المتوقد والحدود العيون والملاذات والأطعمة الفاخرة اللذيذة والأشربة الطيبة المتنوعة الهنيئة فما عرف - مدى الدهر - أندى منها مذاقاً ولا أزكى منها رائحة ولا أنعش منها لكل ذي كبد حرى، تهفو لها النفس انشراحاً وبهجة لما ينبعث من ريحها الفواح وأريجها الشذي فيسيل من أثر النشوة اللعاب من قبل أن تداعب ذراتها حبيبات غدده بأطيب مذاق وألذ عبير، وقد وصفها النبي ﷺ لأصحابه بأجمل وصف في بلاغة

نبوية أخاذة توسطاً في غير إيجاز مخل ولا إطالة مملة وذلك في جلسة من جلسات تقوية الإيمان والحث على الجهاد، فقال فيما أخرجه ابن ماجه عن أسامة بن زيد: «ألا مشمرٌ للجنة فإن الجنة لا خطر لها ورب الكعبة؛ نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلٌّ كثيرة في مقام أبدأ في حبرة ونُصرة في دور عالية سليمة بهية، قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله، قال: قولوا إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه» وأخرج البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ) فضلى، قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت، قال: «إني أريت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا» هذا عنقود واحد من ثمار الجنة فلا تسأل بعد عن نعيمها، وفي مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ) قال: «إن

موسى قال: أَي رَبِّ عَبْدِكَ الْمُؤْمِنِ مَقْتَرٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا،
 قال: فُيْفَتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، قال: يَا مُوسَى هَذَا مَا
 أَعَدَدْتُ لَهُ، فقال موسى: أَي رَبِّ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَوْ
 كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْذُ يَوْمِ
 خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَانَ هَذَا مُصِيرَهُ لَمْ يَرِ بِؤْسًا قَطُّ، ثُمَّ
 قَالَ مُوسَى: أَي رَبِّ عَبْدِكَ الْكَافِرِ تَوْسَعُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا،
 قَالَ فَيُفْتَحُ لَهُ بَابُ النَّارِ، فَيَقَالُ: يَا مُوسَى هَذَا مَا أَعَدَدْتُ
 لَهُ، فقال موسى: أَي رَبِّ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَوْ كَانَتْ لَهُ
 الدُّنْيَا مِنْذُ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَانَ هَذَا مُصِيرَهُ كَانَ لَمْ يَرِ
 خَيْرًا قَطُّ ﴿ وَمِنْ هَذَا الضَّالِّ الْحَسَنِ، وَرَجَاءُ الْفَوْزِ بِرِضَا
 اللَّهِ، وَالتَّعَمُّ بِجَنَاتِهِ، رَأَيْتُ أَنْ أُكْتُبَ فِي التَّرْغِيبِ
 بِهَا وَأَجْمَعَ مَا يُمْكِنُ جَمْعُهُ فِيمَا وَرَدَ مِنْ مُحَاسِنِهَا،
 فَلَأَجْلُهَا يَحْلُو النَّصْبُ وَيَسْتَعْذِبُ الْجُهْدُ فِي الْخَيْرِ
 وَيَسْتَفْنَى عَنِ اللَّذَاتِ الْفَانِيَةِ، فَمَا هُوَ إِلَّا دَوْرَانِ دَهْرٍ
 لَيْسَ بِالطَّوِيلِ مِنْ عَمْرِ الْإِنْسَانِ إِلَّا وَالْمُصِيرُ عَلَى أَحَدٍ
 حَالِينَ ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ﴿ الإنسان: ٣ ﴾ فَمَا

أربحنا إن فهمنا سر الحياة، ولسنا بهذا بمغبونين
أبدأً، عمل صالح بزمن يسير لنيل خلود أبدي هانئ،
وتلك منحة رب العالمين لعباده المهتمين
وأما النار فيا لشقاء أصحابها ويا لشدة ما
سيقاسون من حرها وعذابها والخلود فيها.

د. محمد منير الجنباز

